مجلة الرائد

العدد : ٢٣٧ الموافق في رجب ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٩ ميلادي

عنوان المقال : ماذا أعددنا للحساب ؟!	الكاتب : د. صلاح الدين بن إبراهيم

قال خطيب الجمعة : تتناول خطبة اليوم جوانب يثيرها في واقعنا نحن روادَ المساجد حديثُ رسول اللّه ﷺ :« **أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَلاةُ ؛ فَإِنْ صَلُحَتْ ، صَلُحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ فَسَدَتْ ، فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ** » صحيح الجامع الصغير :٢٥٧٠ .

فهذا الحديث يطرح سؤالاً ينبغي أن تهتز له فرائص المؤمنين ، وبخاصة في أيام غفلة الأمة ، فالغفلة قد تبقي على صورة العمل ولكنها تسلبه روحه ، فيفقد العابد حلاوة الطاعة ولا يجد أثرها في قلبه وأخلاقه .

والسؤال : كيف تكون صلاتنا صالحة مقبولة عند اللّه عزَّ وجلَّ ؟

ثم قال : وسأذكّر في مقامي هذا بثلاثة أمور : النية ، والقراءة ، والاطمئنان في الأركان .

١- أما **النية** : فإن صلاحها شرط لقبول الأعمال ، فإذا فسدت كان العمل وبالاً على صاحبه ، ولا يخفى أن الشيطان يركّز في وساوسه على تلويث النية ، فإذا انتبه العبد إلى عبث الشيطان ، ودفع ما يوسوس به ليفرغ العبادة من مضمونها وثوابها ، واستحضر مراقبة اللّه تعالى لأعمال القلوب ، فدفعه ذلك إلى الحياء من اللّه الجليل ، فطرد وساوس الشيطان ، ولجأ بقلبه إلى الرحمن يسأله العفو والعون .. كان من الفائزين .

وبما أن المعركة مع الشيطان في مجال النية يومية ومستمرة إلى أن يرحل العبد عن دنيا العمل والابتلاء ، فإنه لن ينجو من مكائد الشيطان إلا إذا تسلَّح **باليقظة، والمراقبة ، والإنابة ، والتوكل على الحيّ الذي لا يموت** .

٢- وأما **القراءة** فالمراد بها قراءة القرآن في الصلاة ، ولا يجهل مسلم أن الصلاة لا تصح بدون قراءة ، ولا يغيب عن علم معظم رواد المساجد أن القراءة المقبولة ينبغي أن يتوفر فيها :

- ضبط النطق وفق أصول اللغة العربية .
- وتطبيق أحكام التلاوة في حدود الوسع والطاقة .

فهل يبذل القادرون جهداً كافياً يجعل قراءتهم مقبولة ؟ لا ريب في أن مستوى التلاوة قد تحسن عند جمهور أبناء الصحوة الإسلامية ، ولكن نسبة لا بأس بها منهم ما يزالون غير مكترثين بتحسين تلاوتهم للقرآن مع قدرتهم على ذلك ، وهذا مؤسف .

٣- وأما **الاطمئنان في الأركان** فإنه شرط لصحة الصلاة لا لكمالها ، فإذا راقبنا صلاة عامة رواد المساجد فإننا نصاب بدوار من كثرة فقدان الاطمئنان ، وبخاصة في الركوع والسجود والرفع منهما ، وفي هؤلاء يصح قول رسول اللّه ﷺ للمسيء صلاته : « **ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ...** » ! صحيح البخاري .

فإذا وقع خلل في النية ، وفي القراءة ، وفي الاطمئنان .. فكيف تؤتي الصلاة ثمرتها : { ... **إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ... } [العنكبوت : ٤٥] .

ثم عرج الخطيب إلى ذكر أمرين يبرزان نتيجة لعدم صلاح الصلاة :

الأول : **فقدان الخشوع** ؛ فالنية المدخولة ، والقراءة الضعيفة ، والاطمئنان المفقود مقدمات طبيعية لذهاب الخشوع في هذه العبادة العظيمة . وإذا فُقد الخشوع تحولت الصلاة إلى حركات بلا روح . وقد حذر رسول اللّه ﷺ من هذا الداء الوبيل فقال : « **أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنَ هَذِهِ الأُمَّةِ الْخُشُوعُ ، حَتَّى لا تَرَى فِيهَا خَاشِعًا** » صحيح الجامع الصغير رقم ٢٥٦٦ .

الثاني : **ضعف الأخلاق** ؛ وقد بين رسول اللّه ﷺ أن هناك علاقة بين فساد الأخلاق وبين الصلاة المغشوشة ، فقال : « **أول ما يُرفع من الناس الأمانةُ ، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ، ورُبَّ مُصلٍّ لا خلاقَ له عند اللّه تعالى** » صحيح الجامع الصغير رقم ٢٥٧٢ .

ونبه الخطيب إلى أن للنوافل تأثيراً في إصلاح ما يطرأ على الصلاة المفروضة من نقص لا يطال الأركان ، ففي الحديث أن رسول اللّه ﷺ قال : « **أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلاةُ ، يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِمَلائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ : انْظُرُوا فِي صَلاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ ، قَالَ : أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ** » صحيح الجامع الصغير رقم ٢٥٦٨.

✧ ✧ ✧

لقد سقت ما قاله خطيب الجمعة بإيجاز آملاً لفت نظر أبناء الحركة الإسلامية بشكل خاص إلى الآتي :

١- ينبغي أن يحصِّل المسلم معرفة كافية بفقه العبادات المفروضة عليه ، فهذا شرط لتحصيل ثوابها وثمرتها ، وما دام العبد قائماً بالعبادات فعليه أن يؤديها على النحو الذي كان يؤديها رسول اللّه ﷺ ، وإن مما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين يؤدون صلاتهم نقلاً عن البيئة التي ترعرعوا فيها مع قدرتهم على دراسة أحكامها أو سؤال أهل العلم عنها لإقامتها كما يجب . فالعمل على أساس من العلم هو الذي يجعل سائر الأعمال صالحة مقبولة .

٢- يجب أن يعتني الدعاة والجماعات بأخلاق التعامل مع الخالق عزَّ وجلَّ ومع المخلوقين ، فإصلاح النية رمز لأخلاق القلوب التي إذا صلحت صلح سلوك العبد ، وإذا فسدت انحرف السلوك.

٣- إن حرص المؤمن على إنقاذ نفسه عن طريق إصلاح العمل ، هو الذي يؤهله ليكون مصلحاً لغيره ، أما الذين يشتغلون بعيوب الناس ولا يرون عيوبهم فإنهم يسيؤون إلى أنفسهم .. وفي هذا خسارة كبيرة .. فاعتبروا يا أولي الأبصار.